فيهِ صورةً حيَّة لما يُذكَر عن المياكل الوثنيَّة القديمة انَّهُ كان يُلحَق بهـا مَسْرَح ديني كما ترى في سَيْعة في العربيَّة المعروفة بالحجَرة وفي دورة صلاحيَّة عند الفرات . وكان القدماء يفردون تلك المسارح للاغاني الدينيَّة ولالقاء الخطب والمواعظ . ولعلّ الدروز يقيمون في هذا المكان مناسكهم الخاصَّة . وزعموا انَّ بعض اهل دينهم ينزلون فيها أيَّاماً بل اشهرًا يتفرَّغون فيها لاعمال تقويَّة . وقد خطر لهم ان يسألونا عن فرائضنا الرهبانيَّة فسُررنا بان نفيدهم عن حياتنا النسكيَّة وتجرُّدنا بالنذور عن غنى العالم وملذَّاته

وممَّا لحظنا في سياحتنا هذه انَّ سكَّان تلك الجهات لا تدفعهم اديانهم المختلفة الى التعصُّب بل يعيشون بالوفاق والوداد ولسيادة مطران الروم الكاثوليك في جديدة السيِّد اكليمنضوس معلوف نفوذٌ كبير بينهم والكلّ يجلُّونهُ ويعزّونهُ واذا وقع بينهم خلاف يقصدونهُ بكل ثقة ويعرضون عليهِ مشاكلهم الدينيَّة والادبيَّة فيحلّها لهم وهم يقرّون بعلمهِ الواسع وبتراهتهِ

ونحن باختام نتمنَّى لجميع سكَّان هذه النواحي ان تتألف قلوبهم فينعموا بنعمة السلام والحقّ

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تابع)

١٣ دير الشرفة والقطر المصري

قد أسدى السريان المصريّون الى دير الشرفة في لبنان عوارف جمَّة ومبرّات شتى أحيت لهم فيه ذكرًا طيباً وثناء عاطرًا يردّده الجميع بجميم الشكر ويدعون لهم باجزل الثواب والاجر

على ان البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروه († ١٨٠٠) مؤسس هذا الدير

المذكور في الخير ما كاد يستريح من المشقّات والضيقات العديدة التي تواردت عليه حتى أوفد سنة ١٧٨٥ الخوري شكرالله براغيث الحلبي خدمة ابناء رعيّته في القاهرة وكتب اليه واليهم يستجديهم ويستعطفهم على هذا العهد الحديث. فاجابوا الى طلبه من فورهم ومدّوا لهُ يد البرّ والمعروف (١ وجادوا عليه ايضاً بمخطوطات مهمّة نسخوها بيدهم او امتلكوها بما لهم في ذلك القطر. وقد شئنا ان نلخّص شيئاً من تلك الحسنات ونورد بعض تلك المخطوطات التي لا تزال حتى اليوم مصونة فيه فنقول:

ان اوّل من غرس في دير الشرفة أغراس الاحسان والفضل كان الخوري شكرالله براغيث فانه أوفد اليه في السنة ١٧٨٥ عينها اواني بيعيّة كمجمرة فضيّة وحقّ بخور وصليب مطليّ بذهب ومصنفة وكتاب فرض سرياني (ܩܘܕܫ) الخ. وجمع من كرم ابناء الطائفة كالخواجا حنا جروه شقيق البطريرك وغيره مبلغاً صالحاً أنفقه البطريرك في البناء. وفي مشترى عقار للدير سنة ١٧٨٧. وحذا حذوه القس يوسف صبّي فجمع مالاً جزيلاً من السريان المصريّين أوفده الى السيّد انطون الآمديّ النائب الرسولي († ١٨١٦) فأسس به الغرف لسكنى الكهنة. وجادت الحاجّة مريم ارملة فرج الله مبارك شاه فحبست في ١٣ تشرين الثاني ١٨٠٨ نصف دارها في القاهرة لدير الشرفة ووقفت النصف الثاني للرهبتين الباسيليّتين المخلّصيّة والشويرية. وفي ١٢ ايلول ١٨٢٢ اضطرّ السيد البطريرك اغناطيوس بطرس جروه († ١٨٥١) ان يبيع نصف الدار المذكورة ويشتري بقيمتها اراضي توت في رعشين بلبنان ويخصّصها بوقفيّة مريم وزوجها. وهي اليوم معدودة من احسن املاك الدير واخصبها. وحذا حذو الحاجّة مريم المحسنة الخواجا جرجس اجقم والخواجا اسطفان شديّاق فتبرّعا بمبلغ اشترى به البطريرك السابق الذكر ارض توت في بقعاثا في ١٠ ايلول ١٨٢٢.

وتبرّع السريان المصريّون بمبلغ وافر اشتروا به دارين احداهما في درب الجنينة والاخرى في درب البرابرة ووقفوهما لدير الشرفة. ولمّا تداعيتا سنة ١٨٨٤ كتب وجهاء الملّة الى السيد اغناطيوس جرجس شلحت († ١٨٩١) يلتمسون ان يخصّص كلتا

١) الطلب في المشرق تاريخ دير الشرفة (١٨[١٩٢٠]: ٥٧٤-٥٦٥)

الدارين بوقف كنيسة مار الياس بمصر على ان يؤدّوا عوضاً عنها لدير الشرفة ثلاثمائة ليرة افرنسيّة ذهباً. فاجاب البطريرك المغبوط الى طلبهم. واشترى في آب ١٨٨٤ الخوري يوسف معارباشي رئيس الدير عقاراً جعلهُ وقفاً حسب نيّة المحسنين الكرام

واشترى السريان المصريون ايضاً ارضاً مشتركة بينهم وبين بطريركيّة القبط الكاثوليك وقفوها بمساعي القس يوسف صبّي سنة ١٨٠٩ لدير الشرفة. واتّفق ان بطريركية القبط باعت الارض الموما اليها فصرف السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري النائب البطريركي مساعيهُ في طلب حقوق الدير وقبض ثمن ليرة مصريّة اوفدها الى رئيس الدير الخوري موسى سركيس فخصصها بوقف على نفس المحسنين في ٢٣ نيسان ١٩١٠

امّا المخطوطات المنسوخة في وادي النيل والمحفوظة في دير الشرفة فأشهرها :

١ كتاب مزامير داود النبي نُسخ بحروف كرشونيّة سنة ١٤٩٨ م في برية الصعيد على ما ورد في خاتمة صلاة سمعان العمودي ونصّه « ههههل سلهما هنلا حهه اهلا حهههنا واههههلهه » نسخهُ موسى الخاطئ سنة ١٨٠٩ي١٤٩٨م في برية الصعيد. وهو يتضمن عدا المزامير ترجمة عربية عدّة صلوات وميامر سريانيّة وصلوات عربية منسوبة الى ابرهيم القيدوني واثناسيوس وافرام وفيلكسين وشنوده واشعيا وسمعان العمودي. وذكر الناسخ « الطلبة السابعة ليوم السبت (وقال) انها جُمعت من الابصاليات القبطي » وهذا المخطوط الجليل ملكه سنة ١٧٥٧ م الشماس نعمة الله جروه وهو البطريرك ميخائيل مؤسس دير الشرفة

٢ « كتاب البستان في اخبار الرهبان » تأليف القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم ومنه نسختان في مكتبة دير الشرفة نسخ احداهما في مصر الحقير في رؤساء الكهنة يوحنا سعيد. خوري مدينة مصر والقاهرة. ابن المرحوم الخوري عبدالله الشهير بالسعيد. القدسي بلداً والسرياني لغةً والكاثوليكي الروماني مذهباً. في سنة ١٧٦٩م » وقد وقفه ناسخه الخوري يوحنا لدير مار افرام عين الزعم بلبنان سنة ١٧٧٧ » ثم نُقل بعد حريق الدير المذكور الى دير الشرفة سنة ١٨٤٠

٣ « كتاب ميامر اسحق النينوي » النسطوري منسوخ على رقّ بحروف عربية سبق لنا وصفه في مجلة المشرق (١٢ [١٩٠٩]: ٢١٩) في اول بابهِ (تشرين الاوّل)

سنة ١١٩٥ للشهداء و١٤٧٨م . وفي خزانة كتب دير الشرفة نسخة ثانية من هذا المؤلف « كل نسخها في اوّل هتور سنة ٩٩٨ للشهداء » و١٢٨٢م . وقد وردت فيه هذه العبارة . « نُقلت هذه النسخة بدير القديسة الطاهرة مرتريم صحنايا صحنايا ... من نسخة الاب القس غبريال بن فخر الكفاة ... نقلها ... جرجس الراهب القليوبي ابن القس اسحق ابن القس ابي نصر ... » وقد ألحق الناسخ بهذا الكتاب ميمراً لمار افرام وخمس مقالات لسمعان العموديّ بالعربية

٤ « كتاب البرهان في القوانين المكمّلة والفرائض المعملة » وهو خمسون مقالة تأليف « ابي شاكر ابن الراهب ... ابن المهذّب ... خادم كنيسة السيدة مرتريم ... المعروفة بالمعلّقة بقصر الشمع بفسطاط مصر سنة ٩٨٧ للشهداء وسنة ٦٦٩ للهجرة (١٢٧٠ م) نسخهُ بحرف كرشوني في دير الزعفران الراهب جرجس الحلبي لابن عمته الربّان جرجس ابن المقدسي اليان القتّال ... في عهد البطريرك شكرالله الماردديني ١٧٤٥م »

٥ « كتاب الاعتقاد الصحيح في تجسّد المسيح » منه ثلاث نسخ كرشونية في مكتبة الشرفة وهو « تأليف متروبوليت القدس الشريف مار غريغوريوس جرجس الحلبي » ورد في المقدّمة ما نصه : « ان السبب في اهتمامنا بهذا الكتاب هو انه لما كنا جالسين في مدينة مصر والصعيد بقصد زيارة مَدَبّر (كذا) بريّة) ابهاتنا السوّاح القديسين وفي بعض خيريّات ومصالح امارة المكان المقدّس ... باورشليم دخلنا الى احد البيوت فاخذوا يحاجّوننا في مسئلة الدين فاخذنا بتأليف هذا الكتاب » وقد جاء في آخر هذا المخطوط « تمّ الكتاب . وكان ابتداؤه في محروسة مصر القاهرة ... والمقصود منه الاخبار عمّا جرى بيننا وبين البادري انطون في بلد جرجا في صعيد مصر بحضور البادري بولس في بيت المعلم جرجس سنة ١٧٥٤م »

٦ « كتاب المعلّم والتلميذ » نُسخ بحروف كرشونية سنة ١٧٢٧م . « عُني بجمعه البطرك انبا كرلس ابن لقلق المعروف اوّلاً بالقس داود ورفيقه القس بولس البوشيّ . وهو ملخّص كتاب الاعتراف المسمّى كتاب الروس ... صحّحه المعلّم ابو الفرج ابن الشيخ فخر الدولة ابي الفضل العسّال » . وهذا ابن لقلق تولى بطريركية الاقباط بامر الملك العادل بن الكامل فعاندهُ المصريّون وابطلوا بطريركيته وفرغ الكرسي تسع عشرة

سنة حتى تولى البطريرك سيوس وتوفي سنة ١٢٦١م فخلفه بنيامين فجرجس († ١٣٦٢م) فمتى († ١٤٠٩م) (١

٧ً «فصول مختصرة في تثليث الاتحاد» ذُكر في هذه النسخة المكتوبة بحروف كرشونية انها «عملت بالقاهرة المعزية لطالبها في اواخر سنة ٦٥٩ العربية (سنة ١٢٦١م) لابن العسّال. وورد فيها نبذة تتضمن اسماء الآباء والمصنفين نقتطف منها ما يلي «الاب البطريرك انبا اثناسيوس الرسولي ... وانبا سويرس البطريرك الكبير بانطاكية سرياني اللسان والرئاسة. والبطريرك ابرهيم السرياني اللسان القبطي الرئاسة (٢ ... والاب حبيب ابن حرير (بالحاء المهملة) التكريتي استف تكريت.. المعروف بابي رابطة. والشيخ يحيى الاسكلاني صاحب كتاب حدث العالم الذي ناقض به فرقلس وارسطو القائلين بقدم العالم. وقيل انه نسطوري. والشيخ العالم... برهان النحلة اليعقوبية يحيى بن عديّ († ٩٧٤) . والشيخ ابو علي... عيسى ابن اسحق ابن زرعة تلميذ يحيى المذكور († ١٠٠٧) وتلميذه الآخر يحيى بن جرير (كذا) صاحب المقالة في الكاهن والكهنوت. والكاهن يعقوب الماردائي صاحب كتاب «دعوة القسوس» الخ

٨ً «شرح رسائل مار بولس» يرتقي هذا المخطوط الجليل الى ما قبل القرن الخامس عشر وهو خالٍ من اسم المؤلف. ومن التاريخ ويحتوي اولًا على سيرة مار بولس الرسول واعماله وذكر الكاتب في القسم الخامس منه: «انه يشتمل على ثلاثة انحاء. فالاول على عدد فصول كل رسالة قبطيًا وعلى كيّة كلماتها في النص السرياني. ويشرحها المؤلف في القسم الثامن شرحًا لغويًا كقوله: «انتحل. يقال فلان ينتحل مذهب كذا اي ينتسب اليه» الخ. وتلي ذلك «رسالة ديونوسيوس الكبير الى القديس كليماتوس (اقليميس) الرسول تلميذ بولس السليح من اجل استشهاد بطرس وبولس الرسولين الطاهرين بمدينة رومية». وتعقب ذلك رسالة مار بولس الى اهل رومية ثم الرسائل القاثوليقية ثم الابركسيس. وتتخلل سطور الكتاب كلمات بحروف قبطيّة. وورد في آخره «دلّال ما يجب قراءته في شهور السنة القبطيّة.. على حكم الاعياد

١) اطلب صبح الاعشى للقلقشندي (٥: ٣١١ ٣١٢)

٢) هو البطريرك ابرام السرياني الذي اوردنا ذكره (عدد ٧ من مقالتنا هذه)

المرتبة في الفصول» وهو فهرس فصول القراءات لآحاد السنة واعيادها وتذكاراتها. وقد جاء فيه ذكر لسويرس اربع مرّات احداها في شهر بابه ذكرًا اشارةً الى دخوله ارض مصر. ويلي ذلك فهرس للاصوام مثل «ثلثة ايام نينوى وفصحهم. واسابيع الصوم واحد القيامة وجمعة الفرح التي تتلو الفصح المقدّس. وسبوت وحدود الخمسين... وذكر مار افرام الزاهد والانبا افرهام السرياني الخ»

٩ً «كتاب روضة الفريد وسلوة الوحيد» وهو مخطوط كرشوني «تأليف سمعان ابن... مقاره المترئس بدير القديس ابي يحنّس ببرّية الاسقيط». يتضمّن اثني عشر فصلًا. وقد ورد في المقدّمة انه يُنسب الى راهب من رهبان دير القديس ابي يحنّس القصير. نسخهُ الرّبان قرياقس السرياني سنة ١٦٠٥م. ومنه نسخة ثانية في مكتبة الشرفة كتبها الخوري ابراهيم ابن الشماس زكريا الحدثي سنة ١٦٨٨م

١٠ً «كتاب الاباحيث» تجاه ذوي الطبيعتين ناطرة وخلقيدونيّين. منسوخ بحروف كرشونية ذو ٤٨٠ صفحة منسوق نسق سؤال وجواب بين يوناني وسرياني. جاء في اخرها فائدة سريانية هذا شرحها: «تولى سويرا بطريركية انطاكية في عهد انسطاس... ولما خانه يسطنيان واخذ يضطهد الكنيسة (اليعقوبية) ترك سويرا كرسيه وارتحل معه جميع اساقفة سورية... وكانت رسامته على انطاكية سنة ٨٦٩ اليونان (٥٥٨م) (١ في تشرين الثاني... وصنّف ثلاثة كتب يشتمل كل منها على ثلاثمائة رسالة». وبعد ذلك كتاب الناسخ رسالتين اوفدهما كرّس الى نسطور وجاء في آخرها: «تمّت الرسالة وما معها في ١٢ ايار ١٦٨٠م بيد هدايا بن شمّو من قرية خوديده (قرقوش) بناحية اثور (الموصل)...» وتلي ذلك نبذة هذا عنوانها «أوردةٌ من كتاب البيان في تحقيق الايمان لعلماء القبط» ثم مختصر من «كتاب الصحائح في الردّ على النصائح» لصفيّ الدولة ابن العسّال. وهو تسعة اصول منطقيّة ودينيّة تعقبها اعتراضات واجوبة سمّاها الكاتب «ثمرات» ثم «بعض ملتقطات من علماء القبط منقولة من اوراق منتثرة» في المنطق. ثم «فصل من كتاب منارة الاقداس لابن العبري» ثم نبذة صدّرها الكاتب بقوله: «امّا بعد فقد سألني بعض اخوتنا بالله احد رهبان الطائفة الافرنجية... ايونا جرجس الراهب الايسوعي الذي قدم الى دمشق... ان اجيبه عن

١) تولى سويرا بطريركية انطاكية دخيلًا سنة ٥١٢ وتوفي سنة ٥٣٨

معتقدي اليعقوبيّة المشهور» وختم الناسخ كتابه بتاريخ سريانيّ هذا تعريبهُ . «انتهى الكتاب بيد هدايا سنة ١٧٩٠ م كتبه للشماس ابن القس عبد الجليل عبد الازلي. . .»

١١ً «كتاب الاب الفاضل . . . ابي الفرج ابن الشيخ فخر الدولة ابن العسّال» وهو منسوخ بحروف كرشونيّة سنة ١٥٩٤ م في قلعة المرأة شرقي ماردين

١٢ً «زجليات» لفضل الله الابياريّ وابي السعد الابوتيجي . ومنه نسختان جميلتان في مكتبة دير الشرفة مخطوطتان بحرف قاعديّ ظريف وعنوان كل زجلية بحروف قبطيّة واغلبها تتضمن مديح العذراء مريم اليك على سبيل المثل مطلع الزجليّة الثامنة عشرة:

يا ستّ العذارى مدحي فيك تجارهْ
يا ستّ البراتىْ وعمار الكنائسْ
مدحي في المجالسْ ما هوفيك خسارهْ

١٣ً ونختم هذا الفصل بذكر مخطوط عربيّ فصيح العبارة لم يُذكر اسم مؤلفهِ ملكه القس ميخائيل ابن الشمّاس نعمة الله الملقّب بابن جروه سنة ١٧٥٧ مسيحيّة و٢٠٦٨ يونانيّة وقد نُسخ قبل السنة ١٥٩٣ م . تنقصه الورقة الاولى. ثم عثرنا في المكتبة عينها على مخطوط آخر منسوخ في القرن السادس عشر اهداه جناب القمندان نيلب دي طرّازي الى مكتبة الشرفة يشتمل على كتاب «روضة الفريد وسلوة الوحيد» يليه في آخره كتابٌ ثانٍ واذا هو نسخة كاملة لهذا الكتاب الناقص وهو يبتدئ هكذا :

«بسم الله الواحد الابدي الازلي السرمدي وبهِ نستعين»

«كتاب طبّ النمّ وشفاء الحزن والهمّ تأليف بعض العلماء كتبه لاحد اصدقائه من محبي الفضيلة فنعنا الله به امين»

«سامك الله من كل محنة وحجبك عن كل ملمّة. وجعلك من الصابرين على آدابهِ. الشاكرين الراضين بقضائهِ. الفائزين بفضلهِ. لمّا كان الحزن أعزّك الله داءً دويًّا . ومرضاً وبيًّا . مفسداً للعقول ومخلقاً للنفوس. وكان كثيراً ما يعرض في عالم الكون والفساد لاسبابٍ نحن ذاكروها فيا يستأنف رأينا ان تتحفك (وهنا تبتدئ النسخة الناقصة وبها عرفنا انها نسختان لكتاب

واحد) بدوننا الذي اخترناه لدفعه . وطبنا الذي انتخبناه لعلاجه . وان تنيلك بما يسلبك من غومك . ويشفيك من احزاناتك وهمومك . ممتثلين لقول الرسول اذ يقول فليغفر بعضكم بعضاً . وليرحم بعضكم بعضاً . ونحن نستعمل في كلامنا ثلاث طرق من العلم . احدها علم المشاهدة بالحواس . والثاني الاستدلال بالعقل وبحكيم الفكر . والثالث كلام الله تعالى الموضوع للاعتبار والتدبير . ثم نضيف الى ذلك باباً رابعاً نعلمك باخبار الماضين . وما لحق بالمصطفين المنتخبين . فلا تدع اعزّك الله درس كتابنا هذا . ولا تنقل عن قولنا ومواعظنا وآدابنا . فالإدمان على قراءته . واستعمال قوارعه . وتمييز معانيه . ينصرف عن قلبك الغمّ والحزن . . . »

وورد في آخر المخطوط . « كان الفراغ من نسخها يوم الاربعا ثامن عشر يوونه (حزيران) من شهور سنة 38 . . . للشهداء الاطهار الموافق عام خمسون سنه والف للهجرة . (١٦٤٨م) على يد الشماس برصوم . . . بن فضل الله بن . . . يوحنا النصراني اليعقوبي المغلوطي . . نقله من نسخة للاب الفاضل . . . القمص غبريال الشهير . . . بابن منصور مرشد كاتب القلاية المعمورة الابوية المرقسية . وكان مشمراً . . . في ضيق نفس ويسأل الله تعالى افراج الكرب . . . »

ثم ورد بخطّ احدث زمناً : « طالعه الحقير يوحنا . . . بن برصوم بن ابو الفرج . . . سنة ١٠٠٢ هجرية ١٥٩٣ م

١٤ الطائفة الكلدانية في القطر المصري

ان الأمة السريانية تفرّعت منذ القرن الخامس للميلاد الى اربع فِرَق وهي الفرقة الملكيّة التي غيّرت طقسها ولغتها السريانية وبدّلتها بالطقس اليوناني واللغة العربية . ثم الفرقة السريانيّة الشرقيّة التي عُرفت بالفرقة النسطوريّة والكلدانية . والفرقة السريانية المارونية . والفرقة السريانية الكاثوليكية . وها انا افرد لكل من الطوائف الثلاث الاخيرة فصلاً نلخّص فيه حوادثها واخبارها في القطر المصري فنقول :

ان الطائفة السريانية الشرقية وهي المعروفة بالطائفة الكلدانيّة كان لها في غابر الازمنة عدّة ابرشيات عامرة في بلاد اثور وماداي واذربيجان والعرب ومغارب الهند والصين (١ وكان اساقفتها يخضعون لجاثليق الشرق . وظلّت معروفة بهذا الاسم حتى

١) قد اورد توما المرجي النسطوري اسم اثنين واربعين اسقفاً للسريان الناطرة بينهم داود طران الصين (ص ٢٤٥ من طبع الاب بيجان) ذكره طيشاوس البطريرك (+ ٨٢٣) في رسائله المشهورة وذكر غيره ايضاً عمرو بن متى في المجدل (راجع في المشرق ٣ [١٩٠٠]:

تهوّدت في بدعة نسطور فدُعيت نسطوريّة

وكان قوم من السريان الشرقيين يقطنون القطر المصري ويراجعون مطران دمشق (١ثم جُعلت مصر ابرشيّة خصوصية للسريان النساطرة ونُصب لهم فيهامطران في القرن الحادي عشر على ما اورد ماري المؤرخ النسطوري (ص١١٥). وذكر اسقفاً آخر نسطورياً يُدعى مرقس (ص ١٣٨) وقد جاء في تقويم قديم للكنيسة النسطورية ان هذه الطائفة كان لها في القاهرة والاسكندريّة كرسيّان مطرانيّان وسبعة كراسي اسقفيّة. وقد عثرنا على اسم احد اولئك الاساقفة اوردنا ذكره آنفاً (عدد ٢)

وكان الرهبان السريان الشرقيون يختلفون تارةً فأخرى الى وادي النيل ويزورون أصحابهم رهبان برّية الصعيد. وقد ذكرنا بعضهم ايضاً فيما سلف. ولا غرو انهم شادوا ثمّ بعض الاديار والمناسك. غير اننا لم نتوفق في بحثنا هذا للعثور الّا على دير واحد ابقنوه على اسم مار جرجس ذكره الشيخ ابو صالح الارمني كما قلنا (عدد ١٠)

وظلّ النساطرة على مجدهم وسؤددهم حتى القرون الوسطى فاخذوا في الضعضعة والانتقاص ودخل منهم قسم في الاسلام فأسلموا وذكر ابن العبري في تاريخه السرياني المدني (ص ٢٠٠ من طبع الاب بيجان) انه في عهد الحاكم خليفة مصر († ٩٩٨ م) قُتل عيسى بن نسطور في مصر. وتولى مكانه فركسيوس (كذا) اليعقوبي وهو ابو العلاء فهد بن ابرهيم القبطي... وكان النصارى في ذلك العهد يتولون منصب الوزارة في الدولة المصرية العربية. وظلّوا كذلك الى عهد ابن العبري († ١٢٨٦) فحتم الخلفاء «ان لا يتولى الوزارة نصراني إلّم يهجر دينه ويَدِنْ بالاسلام». ولا ريب ان عيسى بن نسطور المذكور آنفاً كان احد الوزراء المشاهير في مصر

واوّل من بذل المساعي الطيّبة في عهدنا لتعزيز الطائفة الكلدانية في القاهرة كان غبطة البطريرك ايليا عبو اليونان († ١٨٩٤) صاحب الايادي البيضاء الذي خلّف لهذه الطائفة ذكرًا حميدًا لا تزال تردّده حتى اليوم. وهو الذي وضع بيده سنة ١٨٩١ الحجر الاوّل لكنيسة مار انطونيوس ابي الرهبان في القاهرة وهي من أبدع الكنائس

٧٤٣و٨٤٥ و١٣ [١٩١٠]: ٨٠٠ و ١٦ [١٩١٣]: ٧٦١ و ٢٠ [١٩٢٢]: ٩٢٩ فصولًا في آثار النصرانيّة في الصين

١) اطلب تواريخ السريان المشارقة والمغاربة للقس بطرس نصري (١: ص ٥١١)

وأجلها وقد افادنا حضرة الخوري فسقفوس جرجس ابرهمشا الفاضل ان السيدة هيلانة ارملة المرحوم انطون يوسف البغدادي تبرّعت بجميع ما يلزم لبنائها وألحقت بالكنيسة داراً لسكنى الكهنة وشادت على نفقتها ايضاً مدرسة في شبرا باسم القديسة هيلانة يزاول فيها الدروس ثلاثون طالباً من فقراء الطوائف الشرقية الكاثوليكية واشترطت هذه المحسنة الكريمة ان يتولى ادارتها اخوة المدارس المسيحية. كافأها الله تعالى بافضل الاجور. ويبلغ عدد الطائفة الكلدانية في القطر المصري زهاء الف نسمة يدبّر حاضراً شؤونهم الروحية كاهتان برئاسة الحبر الجليل السيد بطوس عزيز النائب البطريركي

١٥ الطائفة السريانية المارونية في القطر المصري

اصبح السريان الموارنة في القرون الثلاثة الاخيرة في مقدّمة الشعوب المسيحية الشرقية الذين تفقّهوا بضروب المعارف وارتحلوا الى بلاد المغرب فاخذوا عن اهلها وحازوا اسماً شريفاً ومقاماً منيفاً . والى كتبهم الاعلام يرجع الفضل في نهضة العلوم الشرقية ولاسيما الدينيّة في البلاد السورية والاقطار المصرية . فان نخبة منهم برزوا بما وضعوه من التصانيف اللغويّة والتاريخيّة التي نهجت امام انظار المغرب منهاجاً فسيحاً للوقوف على اخبار السريان خصوصاً فكشفوا لهم كنوز آدابهم واوضحوا خبايا مخطوطاتهم وخزائن اسفارهم. فالحصروني والصهيوني والحاقلي في عاصمة الفرنسيس ونيرون والسماعنة وعواد في عاصمة الكثلكة. والدويهي والتوليّ والباني وفرحات في سورية. فهؤلاء ومن ضارعهم من فحول الكتبة قد سهّلوا الطرق لروّاد العلم واصحاب البحث وارقفوهم على مكنونات اسفار الاوّلين. ويطول بنا المجال لو تحرّينا استقصاء علماء السريان الموارنة وكتبهم وشعرائهم وصحافيّيهم الذين ملأوا بمقالاتهم الرنانة الجرائد والمجلّات العربيّة في سورية ومصر دَعْ ما امتازوا به من صفاتهم التجاريّة في بيروت ومصر واميركا (١ فاحرز قسم منهم ثروة معتبرة وفازوا بشهرة فائقة

ففريق من السريان الموارنة هجروا الوطن الى القاهرة طلباً للتجارة وطائفة صاروا

١) اطلب تقاليد فرنسا في لبنان (ص٣٦ و ٣٧)

اليها هرباً من الاستبداد والعبودية نحلوا على الرحب والسعة ونشطوا للعمل وتسابقوا في اكتساب العلوم حتى ظهر منهم الصحافي والشاعر والكاتب والطبيب والمحامي. ولسنا نخشى اذا قلنا ان السريان المارنة كانوا اساس النهضة العلمية والآداب العصرية في الاقطار المصرية

واول سرياني ماروني تعهّد مصر للبحث والتنقيب عن آثار السريان كان القس الياس السمعاني اليسوعي كاتب البطريرك اسطفان الدويهي († ١٧٠٤) الطيب الذكر وهو الذي أوفد الى رومية نفرنسا سنة ١٧٠٠ ثم قصد برّية الصعيد وتفقّد دير السريان واستحصل شيئاً من المخطوطات السريانية أتحف بها المكتبة الواتكانية على ما اشرنا آنفاً

واشتهر بعده المونسنيور يوسف سمعان السمعاني مطران صور († ١٧٦٨) وكان نابغة عصره في اصناف العلوم والمعارف. قصد رومية سنة ١٦٩٥ طلباً للعلوم الكهنوتية وعمره يومئذ ثماني سنوات. وما كاد ينهي دروسه حتى فوّض اليه اقليمس الحادي عشر الحبر الروماني ان ينشئ فهرساً للمخطوطات الشرقية التي اتحف بها المكتبة الواتكانية نسيبه القس الياس المشار اليه. ثم أوفده الى سورية ومصر للبحث والتنقير عن الاسفار الشرقية القديمة فسار السمعاني الى القاهرة وقصد نحو دير والدة الله في الصعيد واشترى قسماً صالحاً من الكتب السريانية وغيرها استند اليها في وضع مؤلفه المبتكر الذي سماه المكتبة الشرقية. وبذلك فتح باباً رحباً لعلماء اوربا للوقوف على مصنفات ائمة المشرق ودرس اخبارهم وآثارهم. ونكتفي لوصف هذا الجهبذ الخطير بما كتبه اليه البابا بندكتوس الرابع عشر في رسالته المسطّرة بتاريخ ١٩ ايلول ١٧٤١ قال ما ملخّصهُ «سُرنا لمّا عرفنا ان سالفينا اقليمس الحادي عشر واقليمس الثاني عشر اوفدا كم الى اصقاع المشرق لتجمعوا المخطوطات اليونانية والسريانية والعربية. . وتيقّن اننا نتوقع الفرص لنجهر لك بعواطف اعتبارنا وعاطر ثنائنا وخالص تبجيلنا وشكرنا»(١

ولما عاد العلّامة السمعاني الى رومية حاملًا تلك الذخائر العلميّة الثمينة أخذ ينشر اخبارها ويصرّح بمضامينها وجزيل فوائدها فاستيقظ المستشرقون في فرنسا وانكلترا

١) اطلب تاريخ سورية للسيد يوسف الدبس (الجزء الاخير ص ٩٥)

وبرلين وغيرها وجعلوا يتحيّنون الفرص للشخوص الى القاهرة وضواحيها طلباً لتلك الدرر النفيسة. وكان بودّ السمعاني لو يعود ثانية الى دير السريان في الصعيد وينتقي غير ما انتقاه من المؤلفات النادرة ويحملها الى رومية. لكنّ موانع شتى حالت دون انجاز بغيته الشريفة فبقيت مسئلة تلك الصحف في طيّ النسيان حتى سنة ١٨٤٢ فأقبل المستر تاتام السائح الانكليزي ونقلها الى لندن كما ذكرنا فعدت منذ إذ من أشهر دور الكتب وأغناها وأصبحت موردًا لطلّاب العلوم الشرقية ولاسيما السريانية

وقد احتوت هذه المكتبة السريانية التي كانت في دير السريان بالصعيد على جملة مخطوطات صارت اليها من لبنان او كتبها السريان اللبنانيون اعني الموارنة فاليك شيئاً منها :

١ً انجيل سرياني (عدد ٨٦ من فهرس كتب لندن) منسوخ سنة ١٤٣٨ م في جبل لبنان المبارك في قرية العاقورة. . . كتبه الراهب الخوري نادرس

٢ً مخطوط (عدد ١٢٣) ورد فيه ما شرحه : « صلّوا على يوحنا ابن القس اسحق ابن القمص جرجس. . . من جبل لبنان »

٣ً كتاب شرطونيات (عدد ٣٠٤) حسب استعمال كنيسة السريان الموارنة . « نُسخ في دير مار يُحنّا حواش سنة ١٧٠١ يد الراهبة مريم بنت الخوري حنا من قرية درعون من بيت الشمالي في ايام سيدنا البطرك ابن الدويهي »

٤ً كتاب طقس الميانات (حمّل) وهي اناشيد سريانية للاعياد السيدية (عدد ٣٣٣) منسوخ نحو سنة ١٥٤٠م « حسب طقس موارنة جبل لبنان المبارك »

٥ً كتاب ابتهالات (ماصطا) (عدد ٤٩٣) نسخهُ القس موسى الراهب من جبل لبنان سنة ١٤٩٩م وكان هذا القس مقيماً بالقاهرة يخدم ابناء ملّته السريانيّة المارونية على ما يظهر

٦ً كتاب مار يوحنا المتوحّد (عدد ٥٧٢) منسوخ سنة ٨١٥م ورد فيه ما شرحه : « فليُذكر القس متى من قرية قولباي ببلاد صوفنيا الساكن في دير الطوباوي مار مارون. . . دخل هذا الكتاب الى مكتبة مار مارون سنة ٧٤٥ م في عهد جورجي رئيس الدير. . . ومار قزما رئيس دير مغارة مصر (بانطاكية) ومار زكريا رئيس الرامة. . . فليكن ذكرطيب للرهبان التكريتيين الذين وضعوا هذا الكتاب

في كنيسة والدة الله بالصعيد »

٧ً كتاب مواعظ وميامر لاعياد السنة (عدد ٨٢٥) نُسخ سنة ١٣٢٦ وقد جاء فيه ما تعريبه : «هذا الكتاب يخصّ دير والدة الله في الصعيد . . . صلّ يا ابانا على تلميذك موسى الذي طالع هذا الكتاب ونقل منهُ ميمرًا الى اللغة العربية سنة ١٤٩٦م وناسخ هذا الشرح هو لبناني من ولاية طرابلس »

٨ً سيرة والدة الله مريم (عدد ٩٦٣) واخبار قديسين نُقلت عن نسخة كانت محفوظة في كنيسة السريان بمكا وقد جاء في آخر الكتاب : « طالعه الاسقف يولس تلميذ مار فلكسينس اسقف حماة وطرابلس وحوذين مجبل لبنان سنة ١٥١٠ م » . غير ان هذين المخطوطين الاخيرين منسوخان على ما يُبان بقلم سرياني يعقوبي لبناني لا ماروني

وكان اغلب السريان الموارنة يقطنون بادئ ذي بدء في دمياط وتولّى خدمة نفوسهم الرهبان الحلبيّون واولهم القس موسى الشامي الذي قصد المدينة المذكورة سنة ١٧٤٥ . وعام ١٨٢٠ سُمّي القس انطون مارون الحلبي نائباً بطريركيًا في القاهرة فشاد عام ١٨٣٣ ديرًا للرهبان وكنيسة على اسم مار الياس في مصر العتيقة واشترى ارضاً للمقبرة ودارًا في درب الجنينة حوّلها القس فرنسيس مقل الحلبي سنة ١٨٥٢ الى كنيسة

وعام ١٨٦٨ اقام البطريرك بولس مسعد القس جبرائيل صفير العجلتوني وكيلًا بطريركيًا في القطر المصري فاشترى سنة ١٨٧١ ارضاً واسعة في درب الجنينة ابتنى فيها كنيسة على اسم «سيدة الخلاص» ورمّم في الزقازيق سنة ١٨٧٣ كنيسة جديدة للطائفة . وشاد عام ١٨٧٩ كنيسة على اسم مار جرجس في شارع شبرا اضاف اليها مدرسة ودارًا للوكالة واستحصل كذلك في بورسعيد ارضاً وغرفتين خصّص احداهما للمصلّى واوقد القس يوسف العجلتوني لخدمة الملة فيها . وانشأ كذلك كنيسة للموارنة في المنصورة ومصلّى في الخرطوم وتوفي في ٢٨ كانون الثاني ١٩٠٥

وساعد الاب جبرائيل الغيور حضرة الاب لويس الخازن الرئيس العام للرهبنة الحلبيّة (١ الذي تولى شؤون الطائفة في مصر سنة ١٨٧٩ واستمنح شركة قناة السويس

١) هو حاضرًا السيد يوسف الخازن

ارضاً فسيحة باشر فيها ببناء كنيسة ودار للكهنة. وتولى بعد ذلك خدمة الطائفة سنة ١٩٠٤ الاب يواصاف الشدياق العشقوتي

على ان السريان الموارنة اخذوا يزدادون رويداً رويداً في وادي النيل منذ اواسط القرن الخامس عشر. وذكر المؤرخون العصريون ان محمد علي خديوي مصر سأل الامير بشير الشهابي سنة ١٨٢٤ ان يرسل اليه رجالاً من لبنان يتولون غرس التوت في اراضي مصر لتربية دود الحرير. فاجاب الى طلبته واوفد اليه جرجس الزند وابن عمه شاهين في ثلاثين من العيال المارونية اغلبها من زوق مصبح فدرج منذ ذاك استعمال تربية دود القز في القطر المصري (١

واورد اليساس الايوبي في تاريخ مصر (١ : ٢١٤) « ان السريان الموارنة كان لهم في مصر ثلاث مدارس ابتدائية الواحدة بدرب الجنينة والثانية بقنطرة الدكة بالازبكية والثالثة بشبرا. وهي من نوع الكتاتيب البلدية. ولكنها كانت أرقى منها ماديًا. لان الطلبة كانوا يجلسون فيها على تخوت بدل جلوسهم فوق حصير على الارض كما كانت الحال في الكتاتيب »

ولما عظم امر السريان الموارنة واتسع شأنهم في وادي النيل كتبوا الى بطاركة السيد البطريرك الياس بطرس الحويك يلتمسون منه ان ينصب لهم مطراناً يتولى امورهم. ونهض اذ ذاك الكونت خليل دي صعب عميد الطائفة في المنصورة المشهور بكريم صفاته واريحيته وتبرع بمبلغ مائتي الف فرنك لمنال هذه البغية الشريفة فما كان من غبطة ابي الطائفة النبيل الا ان اجاب الى طلبهم واوفد اليهم سنة ١٩٠٥ السيد يوسف دريان الجليل وفوض اليه ان يؤسس كنيسة كبرى ودارًا للمطرنة. ولما وصل الحبر الجديد الى القاهرة طفق يبذل المساعي في ذلك وجعل يطوف في المنصورة وطنطا والمحلة الكبرى ودمنهور والاسكندرية والزقازيق ويتعهد ابناء الملة وينشطهم الى بذل الاحسان في سبيل هذا العمل المبرور فتوفق الى مشترى ارض فسيحة بمبلغ سبعة آلاف ليرة مصرية مساحتها الفان وخمسمائة متر مربع وانشأ فيها كنيسة فخمة سنة ١٩٠٦ ولبث يرعاهم بالغيرة والحزم حتى توفاه الله في ٢٣ آذار ١٩٢٠

١) اطلب تاريخ المقاطعة الكسروانية (ص ٢٥٤)

وفي القطر المصري في عهدنا نخبة من السريان الوارثة من ذوي الشرف واليسار والعلم والادب يشغل نفر منهم المناصب الرفيعة في الحكومة المصرية ولدى معتمدي الدول الاجنبية. ومنهم قسم صالح يتعاطى المحاماة والتجارة والتآليف الخ

وأشهر الاسر المارونية في وادي النيل اسرة الكونت خليل دي صعب والكونت سليم شديد والكومندور ميخائيل بك حشيمه وحبيب بك زين ومسكات. ومن وجهائهم في الاسكندرية عبد الله باشا صفير وجرجي ونصري اسود وغيرهما

ولهم كنائس معتبرة في القاهرة وفي الاسكندرية والمنصورة والزقازيق وبورسعيد والخرطوم. ويبلغ عددهم اليوم في وادي النيل عشرة آلاف نسمة بنيف

(لهُ تتمّة)

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

أدباء النصارى في هذه الحقبة (تتمّة)

﴿الدكتور بشاره زلزل﴾ كان زميل الشيخ المرحوم ابرهيم اليازجي وقد توفي قبلهُ في ١١ تشرين الثاني ١٩٠٥ في الاسكندرية. كان مولدهُ في بكفيا ودرس الطبّ في الكلية الاميركية في بيروت ونال شهادتها وزاول فنّ الطبابة في بيروت وهاجر الى مصر فرارًا من استبداد الترك. كتب في وطنهِ وفي مصر مقالات علميّة وادبيّة كثيرة في مجلّة النحلة سنة ١٨٧٠ ثم في المقتطف وساعد الشيخ ابرهيم في